العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

إذاعة الكفيل

سلسلة من حلقات برامج إذاعة الكفيل

صوت المرأة المسلمة

إلى الله المآب

اعداد

نوارس فائق

كربلاء المقدسة

FM-95.3MHZ

النجف الأشرف

FM-103.9MHZ

ذي قار

FM-95.3MHZ

radio@alkafeel.net

الكتاب: إلى الله المآب.

الإعداد: نوارس فائق.

المونتاج الاذاعي: سرى المسلماني.

الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة/ شعبة إذاعة الكفيل.

التصميم: علاء سعيد الأسدي.

الاخراج الطباعي: سرى المسلماني.

التدقيق اللغوي: زهراء فوزي- موفق هاشم.

رقم التسجيل في دار الكتب والوثائق العراقية : ١٣٣٧لعام ٢٠١٤م.

المطبعة: مطبعة دار الكفيل.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ٢٠٠٠

جمادى الآخرة ١٤٣٥-نيسان ٢٠١٤م

مُقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلام على أصحابه البررة المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين الى قيام يوم الدين.

أما بعد: لايخفى أننا مازلنا بحاجة الى تكريس الجهود ومضاعفتها من أجل نشر المفاهيم الأخلاقية والتربوية وترسيخ المفاهيم الإيمانية التي تضمنتها رسالة الإسلام لبناء الفرد بناء فعلياً حقيقياً، ليكون انطلاقة سليمة لبناء ذلك الكيان الإنساني الشامخ الذي ماهو إلا اللبنة الاولى لبناء مجتمع إسلامي راسخ البنيان، عتيد المراسي.

لذا ومساهمة في ذلك جاءت برامج إذاعة الكفيل صوت المرأة المسلمة كسبيل للوصول الى ذلك، وقد أخذت هذه البرامج طريقها الى أسماع الكثيرين عبر أثيرها وعبر شبكة الانترنت العالمية صوتاً ولأجل تعميم الفائدة ارتأت الإذاعة إيصال برامجها كتابياً الى أيدي الذين لم يسعفهم الوقت لسماعها، وذلك بطباعة بعض من برامجها وإصدارها ككراس.

الحلقة الاولى

ما هو السبيل الموصل

الى الله سبحانه وتعالى

ما هو السبيل الموصل الى الله سبحانه وتعالى

يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ**﴾[1].

وفي الحديث الشريف: «**ان روح المؤمن اشد اتصالا بالله من اتصال شعاع الشمس بالشمس**».

تصرح الايات الكثيرة كالتي صدّرنا بها كلامنا على أن الانسان مطلوب منه في هذه الحياة ان يسلك الطريق والسبيل الموصل الى الله او كما يعبر عنه احد علمائنا العرفاء:«**على الانسان ان يبدأ ويسعى في حركة الهجرة الى الله**» فيقول: «**هناك اشخاص تحركوا وخرجوا من هذه البئر وهاجروا**»، ﴿**وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[2]، احد الاحتمالات هو ان هذه الهجرة هي من النفس الى الله والتفسير الباطني للبيت هنا هو نفس الانسان، فهناك طائفة خرجوا وهاجروا

(١)الانشقاق ٦.

(٢) النساء ١٠٠.

عن هذا البيت الظلماني: ﴿**مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾[1] الى ان وصلوا الى منزل ادركه الموت ووصلوا مرتبة لم يعد لهم فيها شيء من انفسهم موت مطلق وعندها ﴿**وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾[2] فهنا اجر أخر ليس هو الجنة ولا اشكال النعيم بل هنا الله فقط.

فالمطلوب من الانسان ان يهاجر الى الله ولكن هذه الهجرة وهذا السفر له خطة وموازين حتى لانكون من الذين ﴿**ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾[3] وحتى لانتبع السبل فتفرق بنا عن سبيله فهجرة الى الله صحيح انه امر فطري ولكنه في الوقت نفسه سعي نحو الكمال.

وبهذا الحب للكمال تتوفر ارادة الملك والملكوت وتتحقق اسباب وصول عشاق الجمال الى معشوقهم غير ان كل امرئ يرى الكمال في شيء ما حسب مآله ومقامه، فيتوجه قلبه اليه، فأهل الآخرة يرون الكمال في مقامات الاخرة ودرجاتها فقلوبهم متوجه اليها، واهل الله يرون الكمال في جمال الحق، والجمال في الله سبحانه يقولون: ﴿**وَجَّهْتُ**

(١) النساء ١٠٠.

(٢) النساء ١٠٠.

(٣) الكهف ١٠٤.

وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾[1].

لكن لما كان الكثيرون يضلون او يضللون فيتوهم الانسان ما ليس بطريق موحل الى الهدف طريقا وما ليس بدليل دليلا وما ليس بوسيلة وسيلة فيتبع التوهمات والمشعوذين ومدعي القداسة، وقد حذر الله تعالى من ذلك ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾[2] ومن هنا نعلم ان لعملية السلوك موازين وانماط.

وموازين عملية السلوك هي:-

التمسك بظاهر الشريعة:-

قد يتوهم بعض الناس انهم اذا قطعوا شوطاً ما في عالم السير والسلوك الى الله عز وجل واصلحوا شيئاً من قلوبهم انهم انتهوا من مرحلة تهذيب الظاهر، وعليه فانهم لا يعودون مكلفين بما يكلف به الناس عادة ثم ينجرفون خلف هذه الدسائس والمكائد الشيطانية ويبتدعون طرقاً واساليب او يزين لهم من يظنونهم اهل السلوك هذه البدع والاباطيل وكم تكون خسارتهم عظيمة عندما يكتشفون بعد طول عذاب ومشقة انهم واهمون، وان الذي ظنوه سبيل الله لم يكن

(١) الانعام ٧٩.

(٢) الانعام ١٥٣.

سوى سبيل الشيطان.

ولذا فأن على الانسان المؤمن ان يحذر من هذه الافكار وهذه الآمال وعليه ان يضبط سلوكه على وفق الشريعة الغراء ولا يحيد عنها فكل عمل يُعرض عليه لابد ان يبحث عن مشروعيته ولا يغالي في تقدير نفسه وتقديس مدعي القداسة وبالتالي فان كل طريقة لاتوافق الشريعة في ظاهرها وأحكامها بادعاء الوصول الى الاسرار والاستغناء عن الوظائف العبادية من خلال الاكتفاء بمقام الباطن فهي باطلة ومهلكة كما يفعله بعض اهل التصوف على مر العصور حتى في زمن الأئمة عليهم السلام فالبدء يكون من ظاهر الشريعة، يقول احد العلماء العرفاء: «**ان طي اي طريق في المعارف الالهية لايمكن الّا بالبدء بظاهر الشريعة وأحكامها، وما لم يتأدب الانسان بآداب الشريعة الحقة لا يحصل له شيء من حقيقة الأخلاق الحسنة كما لايمكن ان يتجلى في قلبه نور المعرفة وتنكشف له العلوم الباطنية وأسرار الشريعة**».

ولكن كما يحتاج الانسان في ابتداء سيره وسلوكه نحو الله تعالى الى التمسك بظاهر الشريعة والسير على ضوئها كذلك فهو يحتاج وينبغي له عدم مخالفتها طيلة سيره وسلوكه يقول احد علماؤنا العرفاء: «**وبعد انكشاف الحقيقة وظهور انوار المعارف في قلبه سيستمر ايضا في**

تأدبه بالاداب الشرعية الظاهرية».

بل ان سيد المرسلين ﷺ وهوالانسان الذي مثل في حياته اكمل نموذج للسالكين الى الله وآل البيت جميعا لم يدعوا يوما انهم غير مكلفين بظاهر الشريعة بل كانو يوبّخون من يدعي غير ذلك وهل هناك افضل من خاتم الانبياء ﷺ وعترته الذين مع ذلك لم يكن التأدب بظاهر الشريعة موضوعا عنهم ولذا يرد الامام الصادق عليه السلام على من ظن أن الذي يعرف آل محمد يسقط التكليف عنه قائلا: «**والله ما انصفونا أن نكون اخذنا بالعمل ووضع عنهم**». وعلى هذا ينبغي ان يكون المؤمن هو الذي ينظم سلوكه وفق ما يتطلبه الشرع، وان يكون ظاهره كظاهر الرسول الاكرم ﷺ ويتأسى به في جميع حركاته وسكناته.

٢-السلوك حركة دائمة الى الله تعالى:-

السلوك الى الله نهايته بحسب غاية السالك ولكن المدة غير محدودة لان المقامات المترتبة عليه اولا غير محدودة سواء كان المطلوب هو الآخرة ﴿**لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾[1] ان المطلوب هو الله ولان الإنسان طالما انه في ظرف الدنيا فهو في خطر حتى ينظر فيما يختم له.

فعن الامام الرضا عليه السلام عن آبائه عن امير المؤمنين عليه السلام قال: «**الدنيا**

(١) ق ٣٥.

كلها جهل الّا العلم، والعلم كله حجة الّا ما عمل به، والعمل كله رياء الّا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يختم له». ولذا فان السلوك الى الله عملية وحركة دائمية طالما ان الانسان موجود في دار الدنيا يقول احد العلماء العرفاء: «**وان اولياء الله لم يخلدوا الى الراحة أبدا وكانوا دائمي الخوف من هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر**».

الحلقة الثانية

امتلاك همة السفر الى الله تعالى

امتلاك همة السفر الى الله تعالى

من المعلوم عداء الشيطان الأصيل لبني آدم، فهو لا ينفك عن الإنسان حتى يرديه قتيلا.

فلو أنه يئس من ارتكابه للحرام، تراه يلهيه ويخدّره بالحركات العاطفية، ويُلقي عليه البكاء والخشوع؛ مغفلاً إياه عن التحرك لتغيير ذاته، وما أن يتحرك للتغيير، فإنَه سيقيده، ويستنفذ كل طاقته وقواه؛ ليصده عن الحركة.

فالحركات العاطفية لا تهم الشيطان أبداً، ومن هنا تفنن الخوارج الذين حاربوا أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك، فالشيطان أقنعهم بالحركات العاطفية والعبادية، وجعلهم في موقف عدائي وقتالي مع إمام زمانهم.

من الملاحظ في عالم تكامل الأبدان، أن الإنسان ينتقل من مرحلة إلى أخرى بشكل قهري وطبيعي إلى أن يلقى الرب الكريم، بينما في عالم الأرواح، فإنّ الحركة التكاملية اختيارية، والذي لا يتحرك ولا يبذل جهده سعياً لتحقيق تكامل روحه، فإن وضعه لن يتغير وسيبقى ثابتاً، فظاهره إنسان بالغ راشد، ولكنه في الواقع يحمل في باطنه طفلاً صغيرا!

فما دام أنّ الدنيا ليست بدار قرار، والإنسان شاء أم أبى صائر إلى لقاء ربه تعالى، كيف يمكن له أنّ يستثمر هذه الفترة من الولادة إلى الموت، لتحقيق اللقاء الإختياري قبل أن يصير إلى اللقاء الإجباري؟

كيف يموت قبل أن يموت؟

إنّ هذا سفر، والمسافر يحتاج إلى دابة، وإلى زاد، وإلى خارطة طريق، وإلى رفقاء، وإلى التعرف على الأعداء والعقبات.

من العناوين المفصلة والعديدة التي قد تناولها علماؤنا الأبرار، إنّ قوام السفر أمران:-

أولاً: أن يعيش الإنسان حالة التأذي والتبرم من واقعه.

ثانياً: أن يتصور المتع واللذائذ البديلة.

فالإنسان الذي يعيش حالة الإرتياح من وضعه في الحياة، ويقنع بحياته المستقرة من جميع النواحي، من الطبيعي أن لا يفكر في السفر. وأيضاً فإنّ حالة الشوق وتصور الجمال في الهدف المقصود، يستلزم العزم وشدّ الرحال، ولا خلاف في كون طبيعة الحياة الدنيا طبيعة مملولة، ومتعها متع محدودة وزائلة.

إنّ الإنسان يعيش في هذه الدنيا على أمل أن يحقق شيئاً، أو يصل

إلى بغية ما، وهذا هو الذي يجعله يعيش الأنس، ويجعله يكدح ويتعب ويتحمل كل ما يتحمل، ولكنه كلما تقدم به العمر يضعف هذا الامل لديه، وتزداد وحشته، فكم من الذين عاش معهم وأنس بوجودهم ثم ارتحلوا عنه، وحتى أدوات التلذذ لديه تضعف مع الزمن.

والغريب أننا نلاحظ أن للانتحار في المترفين، وفي أولاد المترفين نسبة عالية!

لأن هؤلاء وصلوا إلى آخر الطريق، فالفقير يتعب ويكدح ليصل إلى الغنى، والشاب الأعزب يجاهد ويدرس ويتغرب على أمل ليلة الزفاف والزواج، والأم تتحمل تبعات الحمل وما شابه ذلك: ﴿**حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا**﴾[1] على أمل ساعة ولادة الطفل أما الذي وصل إلى الغنى واستغنى، والذي تزوج وجاء بالأولاد، والذي استقر سكنه، والذي اشترى دابته، والذى استقر أمر معاشه كالمتقاعدين مثلا، ما الذي يجعله يعيش الأنس في هذه الحياة الدنيا؟

ورد في الحديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «**الأمل رحمة لأُمّتي، ولولا الأمل ما أرضعت والدة ولدها، ولا غرس غارس شجراً**».

فإذن، آفة الدنيا أمران: الانقطاع والتمامية.

(١) الاحقاف ١٥.

والثاني: بهجتها بهجة مملولة تزول مع الزمن والألفة ومن هنا قيل: «**لكل جديد بهجة!**».

لو دخلت بعض البيوت التي هي أشبه بالقصور، ولكن لا تبقى فيها نصف ساعة إلّا وترى كل شيء لا جاذبية له، وكأن هذا البيت كباقي بيوت العالمين لا تميز فيه.

ذهب احد العلماء العرفاء إلى منطقة يقال أنها من أجمل بقاع العالم، قال لهم: «هذا هو آخر جمال الطبيعة، هذا هو البحر الهادئ، أشجار النخيل الباسقة، الجبال العالية وهي مكتسية بالأشجار الاستوائية الجميلة، وهذا المناخ اللطيف، والنسيم العليل، ثم ماذا؟ هذا كمال للطبيعة لا لي أنا، أنا إنسان مسافر، إنسان متفرج أجتاز هذه المنطقة وأعبرها، ما الذي دخل في جوفي؟ هذه الشجرة جمال للجبل، هذا الموج جمال للبحر، هذه الأزهار جمال للحديقة أنا راجع إلى وطني، وأترك كل هذه المناظر».

إن الخطوة الأولى في هذا السفر تبدأ من لحظة الإنقلاب والإستفاقة على الواقع الذي يعيشه الإنسان، فالذي يتأمل في نفسه ويعيش حالة التبرم وعدم الرضا، من المرجو له أن يتحرك ويبدأ سفره هذا، مثله كإنسان خُدّر وخُطف، وإذا به يستفيق ويرى نفسه والأعداء يحيطونه

من كل جانب، فهذا من المتوقع أن يسعى لتخليص نفسه، ويبادر بالفرار ما أمكنه بكل جهده ووسعه وطاقته، حتى يبتعد ويصل إلى مأمنه.

إنّ البعض قد يتعذر بعدم وجود الدليل والمرشد، والحال بأنّ صاحب الأمر عليه السلام في كل عصر هو المسؤول والراعي عن هذه الأمة، وهدفه تنمية القابليات.

نحن نعتقد أنّ الإمام الحسين عليه السلام وصل إلى قمة السفر، وأخذ بيده أصحابه، وآخر قابلية نمّاها، هي قابلية الحر بن يزيد، فهو بنظرة ملكوتية ولائية أنقذه مما هو فيه، وإلّا فإن الحياة التي أمضاها الحر في جهاز الظالمين لم تكن تخوله لهذه النقلة، ولكن يُقال بأن الذي جعله يترشح لكرامة ونظرة إمام زمانه، هو صلاته مع الإمام عليه السلام، واحترامه لمولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام عندما قال له الإمام: «**ثكلتك أمك!**» وإذا به يستنكف أن يرد بالمثل وإمامه ابن فاطمة عليها السلام، وعليه، فإنّ الحر الذي كان قائد جيش يقاتل إمام زمانه، والذي أرعب قلوب الهاشميات، رأى فيه الإمام الحسين عليه السلام القابلية، ونمّى هذه القابلية بدعائه وبحركته وبقوله.

ومن المعلوم أن صاحب الأمر عليه السلام هو وارث الحسين عليه السلام، ونحن عندما نقول: «**السلام عليك يا وراث أبا عبد الله**» مخاطبين إمام زماننا،

فعلينا أن نعرف أن هذه الوارثية ليست من ناحية الثأر لدمه فحسب! إنّما ملكات الأئمة وكل ما يُقال عن المعصومين، كلها مجتمعة في إمام زماننا عليه السلام، وهو راعي هذه الأمة.

وعليه، فإنّ الذي يقدم قرباناً ويقوم بحركة إيجابية، فإنه -بلا شك- سيكون في محط ألطاف الإمام صاحب العصر عجل الله فرجه وعنايته، الذي إذا رأى القابليات المتميزة فإنه ينميها.

ويحسن ذكر هذه العبارة الجميلة لأحد العلماء الأجلاء: «**إنّ الإنسان إذا صار مخلصاً وجاداً في الوصول إلى الله حتى الحائط يتحول له إلى أستاذ، وإلّا لا تنفعه مواعظ النبي الأكرم** صلى الله عليه وآله»، فإذن، المهم على الإنسان أن يبدي صدقه ويثبت حسن نيته.

وقد يقول قائل: إنه إذا وصل إلى الرضوان الإلهي، فإذن ما القيمة المرجوة من الجنة؟

الجواب: بأن للرضوان الإلهي درجات، قسم منه يُعطى في الحياة الدنيا، وقسم منه يُعطى في الآخرة كموسى عليه السلام عندما كلّمه الله عز وجل في طور سيناء: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾[1]. نلاحظ أنه استمع للخطاب الإلهي بكل هدوء، واقتبس

(١) طه ١٤.

ناراً، ثم رجع إلى أهله نبياً، ولكن في وادٍ آخر لمّا تجلّى ربه للجبل فجعله دكاً، موسى خر صعقا: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[1]، فالتجلي هو التجلي، ولكن الشحنة رُفعت درجتها، وإذا بموسى يخر صعقا، ومن المحتمل أنّه لو زاد التجلي، لفُني موسى من الوجود.

والإنسان بطبعه يحب الرحيق، فمع وجود هذه الثمرة الكبرى من هذا السفر، ألا يستحق أن يسافر ليصل إلى رحيق الجنة قبل الدخول الى الجنة؟!

إنّ البعض -مع الأسف- قد جعل المقامات والدرجات العليا حكراً على أصحاب الحوزات، وأهل النخب في المجتمع، فإذا كان الأمر كذلك، فلمن يوجه هذا الخطاب الإلهي في كتابه الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[2]، ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[3].

---

(١) الاعراف ١٤٣.

(٢) آل عمران ١٠٢.

(٣) الكهف ١١٠.

وأمير المؤمنين عليه السلام في وصفه للمتقين: «**فالمتقون فيها هم أهل الفضائل؛ منطقهم الصواب، وملبسهم الإقتصاد، ومشيهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء، ولولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقا إلى الثواب، وخوفا من العقاب، عَظُم الخالق في أنفسهم، فَصَغَر ما دونه في أعينهم**».

إنّ الباب مفتوح للجميع، ومن أراد وصل حيث أنّه تعالى لا يحتجب عن خلقه إلّا أن تحجبهم الأعمال دونه، وكم هم الذين حققوا درجات من القرب الإلهي، وهم من العامة، من أهل الوظائف وغيرهم.

فلنفتح شهيتنا على هذه الدرجات، وأول زاد السفر إلى الله، هذه الهمة للخروج من هذا الواقع.

الحلقة الثالثة

الزاد العلمي أول زاد السائر إلى الله تعالى

«الزاد العلمي أول زاد السائر إلى الله تعالى»

ذكرنا بأنّ الإنسان -شاء أم أبى- في سفرة إجبارية على طريقٍ إلى لقاء ربه: ﴿**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**﴾[1]. وما دام هنالك لقاء إجباري، لماذا لا يُحوّل اللقاء الإجباري إلى لقاء إختياري، وهذا معنى: «**موتوا قبل أن تموتوا**».

إنّ منطق التمثيل منطق جيد لتقريب المعقولات، ومن هنا فإن علماء الأخلاق يشبهون المعقولات بالمحسوسات، كما في تشبيههم للحركة إلى الله تعالى بالسفر الآفاقي.

وهذا المنطق استعمله القرآن الكريم حتى في أدق المعاني التوحيدية، حيث يقول تعالى: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ**﴾[2]، وفي آية أخرى نلاحظ بأنه شبّه الحياة الدنيا بماء المطر: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ**

(١) مريم ٩٣.
(٢) النور ٣٥.

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾[1].

فالإنسان الذي يريد أن يسافر ماذا يعمل؟

قلنا بأن أول خطوة يتخذها المسافر، هو تصور المتعة والأنس الذي يكمن في الجهة التي يريد الذهاب إليها، إما بنقل الآخرين لمعالم السفر، أو بسفراته السابقة، ليحاول أن يوجد في نفسه دواعي الإثارة في هذا السفر، والمسافر لابد له من الزاد، وقد كان المسافر في السفرات القديمة يحمل معه زاده الذي يكفيه.

إن السفر إلى الله ليس بأقل من سفرة الحج، أو سفرة السياحة، أو ما شابه ذلك، فما هو زادنا في هذا السفر؟

إن الزاد الأول الذي لابد أن يتزود به المسافر إلى الله تعالى، هو الزاد العلمي، من المعلوم أن في السيارات الحديثة جهاز مرتبط بالأقمار الصناعية، يمكن أن يوصل الإنسان إلى مقصده، بمجرد أن يضغط على زر تعيين الجهة التي يقصدها، ثم إن هذا الجهاز يسدده في مسيره، ولولا ذلك لتاه في الطريق.

ونحن رأينا كم هم الذين أمضوا شطراً من عمرهم، ثم اكتشفوا أنهم لم يكونوا على الطريق الصحيح، وإن ما كانوا عليه كان يقودهم إلى

(١) الكهف ٤٥.

طريقٍ معاكس لطريق النجاة والسعادة.

فالذي يريد أن يصل إلى لقاء ربه، لابد أن تكون له خارطة ودليل، تبين له منعطفات الطريق وموانعه، والأعداء والأصدقاء.

إن البعض قد يقول: هل معنى هذا أن يترك الناس وظائفهم وأعمالهم، ويهاجروا جميعاً إلى الحوزات العلمية، وتبقى المستشفيات بلا أطباء، والشركات بلا مدراء، والمشاريع الهندسية بلا مهندسين؟

الجواب: هو أن الكمال كل الكمال، والفخر كل الفخر، أن يجمع الإنسان بين نشاطه الدنيوي -بأفضل ما يكون- وبين تكامله الروحي، نحن لم نرَ بأن أصحاب الأئمة عليهم السلام كانوا من المتفرغين لطلب العلم، أي كانت لهم حوزة علمية في زوايا المدينة أو الكوفة من أجل طلب العلم، فقد كانوا من أصحاب المهن: كميثم التمار، الذي كان يبيع التمر، ثم يجلس على مائدة أمير المؤمنين عليه السلام، ويتعلم ذلك العلم الذي قاده إلى محل الصلب، وقد كان يلهج بذكر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام إلى لحظاته الأخيرة، ومنهم الزيات، والصراف، فكلهم من أصحاب المهن، ومع ذلك فقد وصلوا إلى درجات عليا من القرب الإلهي.

وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام من أكبر المزارعين! إذ كان صاحب آبار ارتوازية، يزرع ويكدح ويتعب، مع العلم أن لحظات من عمر

علي عليه السلام تساوي عمر الخلق، ولكنه كان يصرف هذه اللحظات في عمارة الأرض، وما زالت آبار علي عليه السلام «في ميقات مسجد الشجرة» تشهد على ذلك.

ومن المعلوم موقف الإمام الباقر عليه السلام من ذلك الرجل الذي تهكم عليه، عندما رأى الإمام عليه السلام وهو يعمل في المزرعة، وجسمه يتصبب بالعرق، وكأنه مشغول بالدنيا، إذ بيّن له الإمام عليه السلام بأنه في حال عبادة.

رأى محمد بن المكندر أبا جعفر الباقر عليه السلام خارجا إلى بعض نواحي المدينة في وقت حار وهو يتصبب عرقا، فقال له: إنك من أشياخ المدينة تخرج على مثل هذا الحال لطلب الدنيا، أرأيت لو جاءك أجلك وأنت على هذا الحال؟

فقال عليه السلام: «**إني لا أخاف أن يجيئني أجلي على هذا الحال وأنا في طاعة الله، أكف بها لنفسي وعيالي عنك وعن الناس، وإنما كنت أخاف لو جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله**».

فمع استغراق الإمام في المعاني الإلهية فإنه كان يباشر تلك الأمور. فإذن، ليس المطلوب الإعتكاف في المسجد، أو الرهبانية، أو أن يكون الجميع من رجال الحوزة، وإنما أن يحاول وهو في حركته في الحياة أن يكون قلبه مع رب العالمين، أحد المؤمنين هو كبير المهندسين وصاحب

مشاريع كبرى، يقول: بأنه وصل بحمد الله إلى درجة أنه من خلال عمله الهندسي وانشغاله بتخطيط الخرائط الدقيقة، إلى أن يجعل قلبه مع رب العالمين طوال ساعات الدوام، ومن الطريف أنه كان في بعض الأوقات أثناء تنقله بين المواقع، تنتابه حالة معنوية، فيوقف سيارته في قارعة الطريق، ويحوّل الجو إلى جو مناجاة مع رب العالمين، ويشفي غليله ثم يكمل المشوار.

إنّ غاية سعي المؤمن أن يصل إلى درجة من التكامل، بحيث يتحول الذكر بالنسبة له إلى هواء يستنشقه، ولو أنه نسي ذكر الله عز وجل فإنه يعيش حالة الإختناق، والذي يجعله يبادر إلى ذكر الله عزّوجل، ليعيد الحيوية إلى قلبه وفؤاده، فمثل هذا الإنسان لا يخاف عليه من الغفلة؛ لأنه كلما أراد أن يغفل، فان هذا الإختناق الباطني يدعوه إلى الذكر، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**﴾[1].

والذين هم في سن مبكرة فليغتنموا الفرصة للحركة إلى الله كلٌ بحسبه، وقد ورد عن الرسول الأكرمﷺ أنه قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّه، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ**

(١) الكهف ٢٤.

وَتَفَرَّقَا عَلَيْه، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

إنّ البعض قد يستنكر على أولياء الله إنشغالهم بأمور الدنيا، والحال بأن الرسول الأكرمﷺ يحث على ذلك: «**إعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا**»، «**إنّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»...فليس المهم أن يكون الرأس مشغولاً، وإنما المهم أن لا يكون القلب مشغولاً، إن الذي يصل إلى هذه الدرجة من فراغ القلب، فقد حاز باللّذة العظمى، وكان مصداقاً لوصف الامام عليعليه السلام للمتقين: «**وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى...**».

ومن المعلوم أن من ألذ لذائذ العيش عند أهله، هو السجود بين يدي الله، ومن هنا فإن سلمان المحمدي التلميذ الأول لرسول اللهﷺ، وأفضل صحابي للنبيﷺ، وأفضل راوٍ للأئمةعليهم السلام، والذي حاز على الدرجة الأولى، ويأتي في المرتبة بعد الأئمة الاثني عشرعليهم السلام، وقد أعطي الاسم الأعظم يقول: «**لولا السجود لله، ومجالسة قوم يتلفّظون طيب الكلام كما يتلفّظ طيب التمر؛ لتمنيّت الموت**»، الأول في جانب الخالق، والثاني في جانب المخلوق، إن السجود أيضاً من زاد الطريق،

وليس المقصود به هذه الحركة الجسمانية أن يضع الإنسان جبهته وركبته وإبهاميه على الأرض، السجود له ملك وملكوت، وملكوت السجود سياحة في عالم الأنفس، والتي يشير إليها قوله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ**﴾[1].

كان أحدهم شاب مراهق ملتزم بصلاة الصبح خلفنا جماعة، ومن المعلوم أن صلاة الصبح فيها ضريبة القيام من النوم، والذي يواظب على صلاة الفجر بشكل عام وجماعة يعطى شيئاً من الهبات، وعادةً نوم المراهق يكون أثقل من نوم كبير السن، هذا الشباب كان ملتزماً إلى درجة أنه يوقظ نفسه للصلاة معنا حتى لو نام قبل الآذان بفترة قصيرة، وفي يوم قال لي: بأنه غلب عليه النوم في الصلاة لدرجة أنه رأى في المنام تفاصيل ما عمل في الصلاة!

نعم، كل هذا الإصرار لأجل أن يكون من المستيقظين، ولا يخفى مسؤولية الآباء، ودورهم في توجيه الأبناء وتربيتهم، وهنيئاً لمن أوصل براءة الطفولة ببراءة التقوى، حرصاً، وعنايةً، ومراقبةً، ودعاءً، فإن جزاءه كما في مضمون بعض الروايات بأن يحشر مع الأئمة عليهم السلام العدول، ومن المعلوم أن الذي يقدم قرباناً لله عز وجل، فإن الله عز

(١) فصلت ٥٣.

وجل يحفظ له ذلك في ذريته، بأن يبارك له فيهم، ويجعلهم من أهل التميز والصلاح.

ونقول أخيرا: إننا نلاحظ مع الأسف أن غالب الأفراد يمضون حياتهم في الغفلة والرضا بالواقع، ولكن ما الذي هيّأه الانسان لحياته الباقية؟

وهل هو مستعد للموت لو جاءه الملك المقدس عزرائيل لينقله إلى ذلك العالم؟

إن القرآن الكريم يتحدى اليهود بتمني الموت، ويقول بأنهم لن يتمنوه أبدا لما قدمت أيديهم: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآَخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾[1].

نحن لم نقدم شيئاً يعتد به لآخرتنا، لم نقدم قرباناً، إن من يريد أن يخطو أول الخطوات لابد أن يثبت شهادة حسن نية.

إبراهيم عليه السلام قدم إسماعيل عليه السلام الذبيح، واسماعيل عليه السلام هيأ نفسه للذبح، الأنبياء والأولياء كل واحد قدم شيئاً يعتد به، ولو يملك الإنسان في حياته فقط موقف من مواقف المجاهدة مع رب العالمين كفاه هذا الموقف.

(١) البقرة ٩٤.

الحلقة الرابعة

الإمداد الغيبي فى حركة

السالك إلى الله تعالى

الإمداد الغيبي في حركة السالك إلى الله تعالى

إننا نعتقد أن أغلب الناس يحملون في بواطنهم معادن نفيسة، ولكن -مع الأسف- هذه المعادن مجهولة، أشبه شيء -هذه الأيام- بالآبار النفطية، فمن المعلوم أن النفط يحتاج إلى جهاز إستخراج أولاً، ثم إلى جهاز تكرير ليُصفّى من الشوائب والعوالق، ثم يصبح بعد ذلك صالحاً ليكون وقوداً يصب في المحركات والسيارات، والناس كذلك، حيث أن الأمر يحتاج إلى استكشاف واستخراج وتصفية؛ لكي تحول تلك المعادن المستبطنة إلى وقود يحركهم إلى الأمام.

أحد العلماء الأجلّاء يقول هذا الكلام الجميل: «**لو أن أحدهم تاه في البرية لسنوات لا يعلم أين وطنه، ولكنه وصل إلى مكان عال -مثلاً- ورأى البلدة من بعيد، فإنه يتنفس الصعداء، ويقول: قد وصلت، رغم أن بين مكانه والبلدة عقبات كثيرة، إلّا أنه رأى المقصد، ورأى الطريق، وعندما يرى الهدف ويرى الطريق تهون عليه الصعاب، ولهذا فإن رب العالمين عندما أراد أن يعاقب بني اسرائيل، فعاقبهم بالتيه في الأرض؛ عقوبة لهم على مخالفتهم لنبيهم**».

إن في علم الأخلاق مسلكين:-

الأول: يبين لنا الفضائل والرذائل، وهذا الذي سلكه صاحب كتاب: «جامع السعادات» في كتابه القيم.

والثاني: يبين لنا ما هي آليات الوصول إلى هذه الفضائل والرذائل. نحن -كما قلنا- سائرون الى لقاء إجباري مع رب العالمين، وحتى نعلم معنى اللقاء الإجباري والاختياري والفرق بينهما نضرب هذا المثال:-

لو أن إنساناً له محاكمة في المحكمة، وهو في هذه المحكمة بين أن يُعفى عنه، أو يُحكم عليه بالإعدام، أو الحبس المؤبد، فالذي هو طليق -خارج المحكمة- ويعلم تاريخ المحاكمة، فإن أول خطوة يتقدم بها، أن يصل إلى القاضي ويصادقه ويشاركه في تجارة أو في أمر ما، حتى عندما يتم اللقاء في المحكمة مع فرض أن القاضي بيده كل شيء يستفيد من قربه المميز منه، ويعفو عنه، إن هذا في عالم القضاء في الدنيا، ونحن نقول:-

شئنا أم أبينا صائرون إلى ذلك اليوم الذي فيه توضع الموازين القسط: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾[1]، وحينئذ يكون الحساب دقيقاً، ويقول الإنسان: ﴿**وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ**

(١) الانبياء ٤٧.

لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1]، فلماذا لا نحاول أن نصادق القاضي الذي بيده مقاليد السماوات والأرض، ومن السموات مطويات بيمينه، والذي له الخلق والأمر؟

فإذا صار يوم القيامة فإن هذه العلاقة وهذا القرب في الحياة الدنيا سيشفع لنا كثيراً، فإذن، هذه هي فلسفة هذا الحديث، في الليالي والأيام المباركة: كيف نصل إليه قبل أن نصل إليه؟

كيف نموت قبل أن نموت؟

كيف نحاسِب قبل أن نحاَسب؟

لو أنّ الإنسان وصل إلى مرحلة اليقين بأنه سيقف بين يدي الله عز وجل، فهل يعمل ما يعمل إذا كان يوجب له السخط الإلهي والفضيحة يوم القيامة؟!

إنّ القرآن الكريم عندما يصل إلى محاكمة بني آدم والبشر، يطرح آية جداً مخيفة، حيث يقول تعالى: ﴿**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[2].

---

(١) الكهف ٤٩.

(٢) البقرة ٢٨٤.

أي أن الله عز وجل يؤاخذ الإنسان حتى على ما يخفي في نفسه من النوايا السيئة، إن أخفى في نفسه حسداً، أو سوء ظن، أو شهوة، فإن الله عز وجل يؤاخذه على ذلك بمعنى الإدانة على التصرفات القلبية، وهو ما دام لم يعمل بهذه النية السيئة فإن الله تعالى يعفو عنه، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾[1].

قلنا بأنّ الزاد الأول الذي لابد أن يتزود به المسافر إلى الله، هو الزاد العلمي، وأنّ الإنسان الذي يسير على غير هدى، لا تزيده كثرة السير إلّا بُعدا، وقلنا بأن هذا العلم على قسمين:

القسم الأول: علم حصولي يُستفاد من بطون الكتب، ومن صدور الرجال.

والقسم الثاني: علم تفضلي وهبي.

ففي القسم الأول يمكن للإنسان أن يفرغ نفسه للمطالعة المركزة، ويأتي على أمهات الكتب الأخلاقية ليستوعب شيئاً من هذا العلم، ولكن لا ينبغي الاستهانة بالثاني الذي هو ربط بين العبد و ربه، والطريق الثاني: تصرف رب العالمين في عالم الوجود كرامة لعبده المؤمن.

إنّ رب العالمين إذا أراد أمرا فإنه يسخّر كل ما في الوجود لخدمة

(١) غافر ١٩.

عبده المؤمن، فلا ينبغي إنكار الكرامات التي ظهرت على أيدي الأولياء والصالحين، وإن الذين يستنكرون الكرامة عليهم بمراجعة القرآن الكريم، فإن الله سبحانه وتعالى لعلمه بطبيعة الناس المنكرة لما وراء الغيب، والآيات، جاء لنا بقصة سليمان وبلقيس، وذكر ذلك العبد الصالح الذي عنده علم من الكتاب، وكيف أنه أحضر عرش بلقيس في أقل من طرفة عين: ﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾[1]، ومن قبله ذلك العفريت الذي أراد أن يأتي بالعرش قبل أن يقوم سليمان عليه السلام من مكانه: ﴿**قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**﴾[2]، فهذه كرامة جني، وكرامة عبد آتاه الله شيئاً من علم الكتاب، فكيف بمن أوتي علم الكتاب: ﴿**قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾[3]؟!

ومن المعلوم قصة النبي صلى الله عليه وآله في الغار والحمامة والعنكبوت، إن الله سبحانه وتعالى يتصرف حتى في قلوب الكافرين: ﴿**وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ**﴾، والشاهد على ذلك ما جرى في معركة أحد، حيث أن المشركين

(١) النمل ٤٠.
(٢) النمل ٣٩.
(٣) الرعد ٤٣.

بعد انتصارهم رجعوا مباشرة إلى مكة، وفي أثناء الطريق استفاقوا على حقيقة غريبة، وهي أنهم انتصروا ولكن لم يقتلوا النبيﷺ، ولم يدخلوا المدينة، ويأخذوا نسائها أُسارى وإماء، حتى قال بعضهم لبعض: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتم!

فإذن، رب العالمين إذا أراد أن ينفّذ مشيئته، يتصرف في كل عوالم الوجود؛ ليحقق مشيئته في هذا الوجود.

الحلقة الخامسة

الزاد العملي

«الزاد العلمي»

إن الزاد على نوعين، وقد ذكرنا النوع الأول وهو الزاد العلمي، أما النوع الآخر فهو الزاد العملي «زاد التقوى» والقرآن الكريم أشار إلى هذا الزاد في قوله تعالى: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾[1]، وكذلك قوله عز وجل: ﴿**وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾[2].

التقوى تُشعِر بأن هنالك حالة من حالات الخوف، فالإنسان المتقي يعيش حالة الخوف، والذي لا خوف له لا تقوى له، ومن هنا يستشهد في كتب الأخلاق بهذا الشعر في وصف التقوى:

خلِّ الذنوبَ صغيرَها وكبيرها
فهو التقى واصنع كماشٍ فوق ارض
الشوكِ يحْذرُ ما يرى لا تحقرنّ صغيرةً
انّ الجبالَ من الحصى

نقول: لو أن الشاعر كان في القرن العشرين، لذكر حقل الألغام بدلا من الشوك؛ لأن الشوكة تدمي ولكن اللغم يفتت الإنسان تفتيتاً،

(١) البقرة ١٩٧.
(٢) الاعراف ٢٦.

فلو أن إنسانا كان يمشي في أرض الألغام، فإن عينه ستحدق على كل جسم غريب على وجه الأرض؛ لأنه يخاف أن يرديه قتيلا.

إن علينا إستيعاب هذه الحقيقة، وهي: أنّ الشياطين تكيد كيدا مضاعفا بالنسبة إلى الإنسان المؤمن، وتفكر في ذلك اللغم الذي يناسبه: شهوةً، أو غضباً، أو طمعاً في دنيا، أو طلباً لرئاسة، فالشياطين لها ألغامها المتعددة، وخاصةً من همَّ في السفر إلى الله تعالى، وإلّا فلماذا نرى بأن الذين يحبون الكمال وعشاق الوصل كثيرون، ولكن الواصلين قليلون؟!

المشكلة هي أن أغلب الناس الذين يتحركون إلى الله يُلقى القبض عليهم، وتفتتهم الألغام وهم في أوائل الطريق؛ فالميل والرغبة عند الكثيرين موجودة، ولكن في أول الطريق يواجهون العقبات التي تصدهم عن السبيل.

فإذن، حقيقة التقوى أن يعيش الإنسان حالة الخوف من غضب الله تعالى والذي لا يعلم أنه متى يحلّ على العبد!

من المعلوم أن المؤمن الذي يُعطى بعض المنح الروحية، ثم يكفر بها بارتكابه لما يُغضب الله عز وجل، فإنه يعرّض نفسه لإنتكاسات روحية خطيرة، حيث يُصاب بإدبار شديد عجيب، وهذا الإدبار مجرّب

بعد المواسم العبادية: في محرم وصفر، وشهر رمضان، وموسم الحج، وقد ورد في الحديث: «**لا يزال على الحاج نور الحج ما لم يذنب**»، فالإنسان عندما لا يراعي هذا النور الذي يُعطى في هذه الليالي والأيام، فإنّه يُسلب منه بثمن بخس، بذنب واحد أو زلّة صغيرة مما يضيع عليه جهداً كبيراً، وليس معنى ذلك أنّه طُرد من رحمة الله عز وجل، ولكن هذا النور نور لطيف، هذا النور نور عزيز لا يُعطى لكل أحد، ولنتأمل في هذه القصة، فإنها حقاً مخيفة:-

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إنّ يوسف عليه السلام لمّا قدم عليه الشيخ يعقوب عليه السلام دخله عزّ المُلك فلم ينزل إليه، فهبط عليه جبرائيل فقال: يا يوسف!، إبسط راحتك، فخرج منها نور ساطع فصار في جو السماء، فقال يوسف عليه السلام: ما هذا النور الذي خرج من راحتي؟، فقال: نُزعت النبوة عن عقبك عقوبةً لمَّا لم تنزل إلى الشيخ يعقوب، فلا يكون من عقبك نبيٌّ**».

إن يوسف عليه السلام سُلب منه نور النبوة؛ لأنه لم يُوّقر أباه ذلك التوقير الذي ينبغي، وهو الذي ابيضّت عيناه حزناً على فراقه، ومن الطريف أن هذا النور أُعطي لأخيه بنيامين، الذي لم يكن فضله إلّا أنّه اقترح على إخوته بأن يُلقوه في الجب «البئر»، بدلاً من القتل المباشر حتى يجعل

مجال أمل لأن يبقى حياً.

إنّ الذي تصوّر ذلك الجمال، وعاش في نفسه حقيقة التبرّم على واقعه، ثم عزم على السفر، فإنّ أوّل خطوة يخطوها للأمام هو مراجعة الباطن، إذ لابد لمن يريد أن يسافر إلى الله تعالى، أن يعقد مع نفسه جلسات ينظر فيها إلى كل منقصة في وجوده، في الجانحة والجارحة؛ ليكون مرشحاً للسير إليه، وعليه بهذه الحركة العملية: أن يغتسل غسل التوبة، ثم يصلي ركعتين مقتصدين بتوجه، ثم يسجد مستغفراً سبعين مرة، فإن أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد.

وللعلم فإن هناك سجود صلاتيّ فى الفريضة والنافلة، وهناك سجود يمكن أن نسميه سجود المحبة، سجود الإسترسال مع رب العالمين وهذا السجود لا يحتاج إلى وضع الركبتين ورأس الإبهامين، فبإمكان المصلي أن يسترخي، ويضع صدره على الأرض، ويسجد ساعة وساعتين وثلاث وأربع ساعات حسب ما يحلو له، فإذن، فليسجد سجدة مسترخية ويستغفر الله سبعين مرة، لما مضى من الآثام والذنوب، وعدد السبعين عدد مبارك إستعمله القرآن الكريم، وليحاول بعد ذلك أن يقرأ مناجاة التائبين بحضور قلب وشعور، فعندما يقول: «**إلهي! أمات قلبي عظيم جنايتي**»، فليتصور الجناية، وعظمة الجناية، والإماتة،

«**وألبسني التباعد منك لباس مسكنتي**»، «**إلهي! إن كان قد قبح الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك**»، ولعله يُستفاد من بعض الروايات أنه لو دمعت عينيه ولو مقدار جناح بعوضة، فإن هذه إن شاء الله علامة القبول.

ثم بعد هذه الحركة من التوبة لابد من العزم على عدم العودة إلى المنكر، وشد الهمة في السير، وبهذا الخصوص، هناك بيت شعر، وهو أن الإنسان إذا صمم شيئاً وصل اليه:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

الحلقة السادسة

كيف يحصل المسافر

الى الله على الزاد؟

كيف يحصل المسافر الى الله على الزاد؟

إنّ المسافر لابد له من الزاد، وقسم من هذا الزاد يأتي من خلال المطالعة والتثقف والإلمام الجيد بهذا المجال، ولهذا فمن المناسب قراءة الكتب الأخلاقية، وهي على نوعين:-

النوع الأول: ما كُتب في الرذائل والفضائل، مثل: كتاب: «جامع السعادات» للشيخ النراقي، وكتاب: «الطريق إلى الله» للشيخ البحراني، وهما من أفضل ما كُتب في الأخلاق.

والنوع الثاني: ما كُتب في سيِّر العلماء والأولياء، ومنه كتاب: «كيمياء المحبة»، الذي راج في الأسواق العربية وغير العربية بشكل ملفت، ومن اللطيف في هذا الكتاب أنه يتناول سيرة رجل لم يكن من رجال العلم، بل كان يعمل خياطاً.

إن رب العالمين له طريقته في تربية عباده، وإذا رأى مادة قابلة في عبده فإنه يوصله إلى ذلك العلم الذي لا نفاذ له، وهذا هو القسم الآخر من الزاد العلمي، والذي يُسمّى بالعلم اللدني، أو العلم الإلهي، أو العلم الإلقائي.

إن البعض قد يستنكر على أولياء الله انشغالهم بأمور الدنيا، والحال بأن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يحث على ذلك: «**إعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا**»، «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**».

فليس المهم أن يكون الرأس مشغولاً، وإنما المهم أن لا يكون القلب مشغولاً، إن الذي يصل إلى هذه الدرجة من فراغ القلب، فقد حاز باللذة العظمى، وكان مصداقاً لوصف الامام علي عليه السلام للمتقين: «**وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى...**».

ومن المعلوم أن من ألذّ لذائذ العيش عند أهله، هو السجود بين يدي الله، ومن هنا فإن سلمان المحمدي، التلميذ الأول لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأفضل صحابي للنبي صلى الله عليه وآله، وأفضل راوٍ للأئمة عليهم السلام، والذي حاز على الدرجة الأولى، ويأتي في المرتبة بعد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، وقد أُعطي الاسم الأعظم يقول: «**لولا السجود لله، ومجالسة قوم يتلفّظون طيب الكلام كما يتلفّظ طيب التمر؛ لتمنيّت الموت**» الأول في جانب الخالق، والثاني في جانب المخلوق.

إن الإنسان بطبعه يحب الجمال، والوصول إلى القمة وإن كان محالاً، إلّا أن التمنّي ليس حراماً، فلعل الله عز وجل يفتح عليه يوماً ويصل إلى مراده، وإن لم يصل إلى القمة، ولكن في الحركة بركة، وخير له من

الجلوس في الحضيض، وفي الوديان السحيقة، ولهذا نحن نلاحظ في المناجاة الشعبانية، أنّ الإنسان يطلب أمنية الأماني، ويا له من طلب غالٍ نفيس، حيث يقول: «**إلهي!، هب لي كمال الإنقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك**»، ولو أن هذه من أسرار أهل البيت عليهم السلام ووقف عليهم لما وصلت إلينا بهذه السهولة.

إنّ رب العالمين له طريقته في تسديد عباده وتوجيههم إلى ما فيه الصلاح والنجاة، وقد يصل إلى درجة التكليم الباطني، لا بمعنى التكليم الذي خُص به الكليم موسى عليه السلام، أو الوحي الذي كان ينزل به جبرائيل عليه السلام على الأنبياء عليهم السلام، وإنما عن طريق الإلقاء في الروع.

فهنا رب العالمين يستعمل لفظة الوحي لإمرأة عادية لم تكن بنبي ولا بوصي وهي أم موسى عليه السلام، وينسب الفعل إلى نفسه تعالى وليس بوسيط: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[1].

وفي آية أخرى نلاحظ أنه يستعمل كلمة الوحي حتى للحشرات: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾[2]، والإنسان شأنه أرفع من كل المخلوقات إذ أنه

(١) القصص ٧.

(٢) النحل ٦٨.

خليفة الله في الأرض، ألا يستحق أن يكون محلاً لألطاف الرب تعالى وتسديداته؟ فعلى المؤمن أن يحاول أن يعرض نفسه لهذه المنحة الإلهية.

يتفق للإنسان بعض الأوقات وهو جالس، وكأن هناك من يقول له: قم من مكانك، واذهب إلى المجلس الفلاني!!

وهو ناسٍ لهذا المجلس، فيذهب ويستمع من الخطيب كلمة تغير مجرى حياته، من الذي أقامه من مكانه؟!ومن الذي ذكّره بهذا المجلس؟!

وقد ورد أن من يلتزم بهذا الاستغفار شهرين متتابعين أربعمئة مرة في اليوم، فإنّه يُعطى العلم الكثير أو المال الكثير، وأيهما حصل فهو غنيمة، وهو استغفار مُجَرَب، فالذي يعمل به يفتح له فتحة من عالم الغيب: «**أستغفر الله الذي لا إله إلّا هو الحي القيوم، الرحمن الرحيم، بديع السماوات والأرض، من جميع ظلمي وجرمي وإسرافي على نفسي وأتوب إليه**».

ونقول أخيراً: إننا نلاحظ مع الأسف أن غالب الأفراد يمضون حياتهم في الغفلة والرضا بالواقع، ولكن ما الذي هيأه الانسان لحياته الباقية؟

وهل هو مستعد للموت لو جاءه الملك المقدس عزرائيل لينقله إلى

ذلك العالم؟

إنّ القرآن الكريم يتحدى اليهود بتمني الموت، ويقول بأنّهم لن يتمنوه أبدا لما قدمت أيديهم: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾[1]، نحن لم نقدم شيئاً يُعتد به لآخرتنا، لم نقدم قرباناً، إنّ من يريد أن يخطو أول الخطوات لابد أن يُثبت شهادة حسن نية.

(١) الجمعة ٦.

الحلقة السابعة

اليقظة الروحية مقدمة

للخروج على الواقع

«اليقظة الروحية مقدمة للخروج على الواقع»

إنّ علامة قبول العمل حجاً وعمرة، وصوماً وصلاة، وعزاءً، ليس الترقب لمنام أو مكاشفة أو نور أو رائحة طيبة، وإنما هو حصول التغير الجذري في الذات، فمن رأى في قلبه اطمئناناً وإعراضاً عن المنكر ورغبة في الطاعة، فليعلم أنه على خير، وإلّا كما قلنا فإنّ الشيطان لا تخيفه هذه الحركات العبادية، وإنّما الذي يخيفه هو مجاهدة النفس ومغالبة الهوى.

إنّ هدفنا من هذه الأحاديث، هو بيان معالم السفر الإلهي، هذا السفر الذي نحن فيه ونحن لا نشعر، أجسامنا وحياتنا في حركة قسرية إلى النهاية، والحال بأن الأرواح على حالها.

إنّ البعض صلاته وهو في سن الخمسين أو الستين، لا تكاد تختلف عن صلاته عندما كان في سن البلوغ، فمنذ يوم بلوغه إلى يوم وفاته صلاته على حد سواء، ومعنى ذلك أنّ روحه لم تبلغ، ولا زالت روح طفولية، وأنه مازال يعيش لا المراهقة بل الطفولة، وكم من القبيح أن يبلغ الإنسان من العمر ما يبلغ، ويكون له بنين وحفدة، ولكن روحه التي بها قوام الحساب والخلود تكون روحاً غير بالغة.

إننا نرجو للجميع الذين يشاركون في الليالي والأيام المباركة أن يخرجوا بهذا الجو المبارك، كخروج بشر في لقاء عابر، والذي نراه في التاريخ أن بشر لم يلتقِ بالإمام موسى بن جعفر عليه السلام في تلك القضية، وإنما التقى بخادمة رأت الإمام المعصوم، ونقلت له قول الإمام، فقلبته رأساً على عقب.

من المعلوم أنه لابد للإنسان الذي يريد الحج أو العمرة، أن يتطهر في الميقات وينزع الثياب الدنيوية المخيطة ويلبس ثياب الإحرام؛ ليدخل في الحرم الإلهي الأرضي، وأن الإنسان المصلي بمجرد أن يكبّر تكبيرة الإحرام، فإنه يحرم عليه ما يحرم من منافيات الصلاة، إن الأمر كذلك بالنسبة لمن يريد السفر إلى الحق تعالى والدخول إلى ساحة العز الإلهي، أي أنّه لابد أن يكون متطهراً، وهذا التطهر ليس إلّا التوبة، وقد ذكرنا أن من معالم التوبة هذه الحركة الظاهرية، من غسل التوبة ثم صلاة التائبين والاستغفار.

إنّ الإستغفار هو ورد المؤمن الدائم، وهو بمثابة الصابون والماء الذي يطهر الإنسان من الخبث والدرن ويخلّصه من الأمراض، ومن دونه ينتفي تحقق الطهارة والنقاوة الروحية للمؤمن، ومن المعلوم أنّ عملية الغسل لا تحتاج إلى نية؛ إذ أنّ الطهارة حاصلة ومتحققة بمجرد

صب الماء على البدن، إن الإنسان الذي يلتزم بالإستغفار، حتى لو أنه ارتكب ذنباً ثم نسيه، ولم ينوِ الإستغفار من هذا الذنب بعينه، فإن الطهارة متحققة، ومن المحطات المهمة جداً للإستغفار محطتان في كل يوم وليلة:-

المحطة الأولى: بعد صلاة العصر:-

حيث أنّه يُستحب للمؤمن الإستغفار سبعين مرة، و أن لا يستعجل الإنسان القيام من سجادة صلاته، وأن يطيل الجلوس بعد الفرائض ولو دقائق ولكن بشرط أن يكون بمقدار شهيته، وإن كان هو في أول الطريق قد يجلس دقائق، ولكن البعض يصل به الأمر إلى أنه لا يطيق القيام من المصلى؛ لما تأتيه من الواردات القلبية، ومن هنا وردت عن علماء الأخلاق هذه العبارة: «من لا ورد له لا وارد له». فالإنسان الذي لا يتخذ محطة لذكر الله عز وجل بالمعنى الدقيق للذكر لا يأتيه المدد الغيبي، ومن أفضل ساعات السياحة الأنفسية والتوغل في عالم الغيب، هو عقيب الفرائض، فلو أن إنساناً يحيي الموتى وهذا قمة الإعجاز والكرامة ولكنه يعيش حالة الشرود والغفلة في صلاته، فإنه ليس بشيء، إن الذي لا يُقبَل في الصلاة، فإنّ رب العالمين لا يقبل عليه، ومن لم يقبل عليه رب العالمين، لا وزن له في الوجود، فهبْ أنّه يحيي

الموتى، إلّا أن عدم إقباله في الصلاة علامة على بعده عن الحق.

والمحطة الثانية: في صلاة الليل:-

إن الذي يريد الكمال لابد أن يكون بمستوى الهمة التي تهيئه للتكامل، وليس المطلوب أن يصلي الإنسان صلاة الليل بالكيفية الواردة شرعاً، فمن المعلوم أن النبيﷺ كان يقطّع صلاة ليله يصلي وينام وهكذا، كما لو أن إنساناً بيده قطعة حلوى، فهو لا يأكلها دفعة واحدة، بل تراه يقطّعها قطعة قطعة حتى يطيل فترة استمتاعه.

إن أولياء الله وعلى رأسهم النبي المصطفىﷺ كانوا يقطّعون الدخول إلى حضرة المولى عز وجل، ولكن الذي يصلي صلاة الفجر في أول وقته، ما الذي يضره أن يستيقظ قبيل الفجر بربع ساعة أو بعشر دقائق ويصلي، ليتشبه بالذين يقيمون بالليل، وإلا فإن لقيام الليل معنى عميق، قيام الليل لقاء العاشق مع معشوقه، ومن هنا ذلك العالم كان ينادي في جوف الليل: «**أين الملوك وأبناء الملوك من هذه اللذة!**»

هناك لذائذ في جوف الليل تُدرك ولا تُوصف لأهله، لكن نحن المبتدئين نتشبه بهم في ركيعات ثلاث: ركعتا الشفع، وركعة الوتر، والذي لا يكلف نفسه هذا الأقل من صلاة الليل، فمعنى ذلك أنه لا يريد أن يتميز في حركته إلى الله تعالى، ويكتفي بالعمل بالرسالة العملية

بالفقه الظاهري ولا حظ له بالفقه الباطني في شيء.

إن الذين يقنعون بالفقه الظاهري ولا يطمعون لما رواء الفقه، هؤلاء لا يصلون إلى جوهر العبادة، أشبه شيء بمن يريد لقاء الملك، ولكنه يكتفي بالتواجد في ساحة القصر، ومراجعة ما يعرض في المكتبة من حياة الملك وسيرته وأوصافه، فهو يبقى يحوم حول القصر دون التشرف بالمثول بين يديه.

على الإنسان المؤمن أن يطمع فيما هو أعظم من ذلك، ويسعى أن يصل إلى درجة يدخل ساحة العز الإلهي، ويحاول أن ينتقل من القشرة إلى اللب من الملك إلى الملكوت والذي عرف الدين من خلال اللب والملكوت، فهذا الإنسان لا يُخشى عليه من الإرتداد عن طريق الله؛ لأنه وصل إلى معدن العظمة: «**إلهي! هب لي كمال الإنقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك؛ حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة**».

لنحاول أن نجعل الأنفسَ محلاً للألطاف والتجليات الإلهية، إن رب العالمين ليست له صلة قرابة مع علماء الحوزات والفقهاء والمراجع، فمتى ما وجد القلب السليم فإن رب العالمين يتجلى في ذلك القلب كالمرآة، ومن الملاحظ أنّه كلما ازداد صفاء المرآة ونقائها من الغبار والكدر

«هذا إذا لم يكن صدأً» كلما كان انعكاس الأشياء فيها أكثر وضوحاً، فلو وُضعت مرآة أمام الشمس لانتقلت هذه الشمس العظيمة عبر هذه المرآة الصغيرة، وأصبحت تحمل خواصها إذ تكون قابلة للإحراق، فإذا كان ذلك بالنسبة للشمس والمرآة، فكيف بالنفوس البشرية إذا واجهت شمس الوجود؟! نعم فإنها تصبح نفوس إلهية.

الحلقة الثامنة

عقبات السفر

عقبات السفر

لاشك أن الإستماع للمواعظ التي تُلقى في الأيام والليالي المباركة في مجالس أهل البيت عليهم السلام وبالأخص في الأيام والليالي المباركة يختلف عن باقي الأيام والليالي؛ إذ أنّ معها دفع من عالم الغيب، كالسفينة الشراعية التي تبحر في البحر، ولكن الأمواج والهواء تدفعها إلى الإمام.

ومن الملاحظ في هذه الأيام وجود حالة العطش لتقبل المعارف والمعاني الإلهية، وهذه ظاهرة غير طبيعية، فالمجالس بحمد الله تزداد في كل سنة، والجمهور يزيد بشكل ملفت، وإن هذه إن شاء الله من علامات البشرى لظهور إمامنا «عجل الله فرجه الشريف»، حيث أصبحت القلوب تُقبل على أهل البيت عليهم السلام وعلى الإسلام الصحيح.

قلنا بأنّنا في حال سفر قهري منذ أن سقطنا من بطون أمهاتنا ونحن لا نعلم شيئاً، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذه الحقيقة حين قال: «**أوله نطفة قذرة، وآخر جيفة نتنة، وهو فيما بينهما يحمل العَذِرَة**»، فهذا هو السفر الظاهري«السير البدني» الذي نحن صائرون إليه حيث يبدأ الإنسان من نطفة، وأما نهايته فجيفة لا تُطاق، وبموازاة هذا

السير الأرضي هنالك سير سماوي، وقد يقول قائل: من أين جئنا بهذا المصطلح؟

إنّ القرآن الكريم كله يضج بالدعوة إلى هذا السفر، كقوله تعالى: ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾[1]، فمن الواضح أن الفرار إلى الله أبلغ من السفر، فلو أن إنساناً كان في مبنى يعج بالنيران، فإنه يحتاج إلى فرار وإلّا لإلتهمته النيران!

فإذن، نحن في الواقع نحتاج إلى فرار من عالم المادة إلى عالم الملكوت، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿**فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا**﴾[2]، فالسبيل هو الطريق، وهذه من أروع آيات القرآن الكريم: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**﴾[3]، ولها عدة وجوه، ومن وجوهها: أنّ الذي عزم على السفر إلى الله تعالى، فإن رب العالمين يقتصد له السبيل أي يختصر له المسافات ومن هنا ورد عن أهل البيت عليهم السلام قولهم: «**وإن أفضل زاد الراحل إليك، عزم إرادة يختارك بها**»، ولكنّ المشكلة أننّا لم نختر الله عزوجل، فلابد للإنسان المؤمن أن يأخذ القرار للفرار، وكلما تأخر فإنه هو الخاسر، فالذي ينام في الطريق، فهو عندما يستيقظ ويمشي،

(١) الذاريات ٥٠.

(٢) الانسان ٢٩.

(٣) النحل ٩.

فإنه يصل لأنه على الطريق ولكنه يصل متأخراً، فكلما عزم على تعجيل هذه الحركة فهو الرابح «**وإنك لا تحتجب عن خلقك، إلّا أن تحجبهم الأعمال دونك**».

قلنا بأن الزاد الأول: هو الزاد العلمي، وأنّ الإنسان الجاهل السائر على غير هدى لا تزيده كثرة السير إلّا بعداً، وأن الزاد الآخر: هو التقوى، أي أن يعيش الإنسان حالة الخوف من غضب الله عزوجل.

إنّ أحد مراجع التقليد الذين توفاهم الله عز وجل، وكان معروفا من بين المراجع ببعده الأخلاقي وبكراماته، ينقل ولده عنه هذه القصة:

«أنّه في ليلة من الليالي رأى والده يعيش حالة الإضطراب والقلق الشديد، إلى درجة أنه لم يتجرأ أن يسأله عن السبب، إلى أن طرق الباب طارق وقال بأنه طالب علم يريد أن يلتقي بالسيد، ولما خرج وإذا بالسيد متهللاً، وقال: بأنه كان يعيش حالة القلق هل أن إمام زمانه راضٍ عنه أم لا؟»

إنّ هذا الخوف وهذا الهاجس سلب منه الرقاد والراحة، فهل فكرنا يوماً بأنه هل أن الله عزوجل راضٍ عنا أم لا؟

هل فكرنا بأنه هل نحن على الجادة المستقيمة؟

«**رحم الله من عرف من أين، وإلى أين، وفي أين**».

نحن إلى أين وصلنا؟

هذا الرأسمال الذي أخذناه من رب العالمين فيما صرفناه؟

ورد في الحديث عن الرسول الأكرمﷺ: «**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به**»، إن الإنسان بعض الأوقات إذا فكر في هذا المجال فإنه سيسلب منه الراحة والنوم، ولكن ليسلب منه النوم ليلة أو ليلتين، وليعش ما يعش من صراع نفسي، ولكنه سيخرج بعدها بقرار.

من عقبات السفر: التحلل من مظالم العباد:-

إنّ البعض ممن يُعطى بعض النفحات الإلهية وتُفتح شهيته على العبادة، والصلاة في المسجد، وصلاة الليل؛ فإنّه يُعطى بعض الهبات، ويُعطى شيء من النور، في الحديث الشريف: «**أشراف أمتي: حملة القرآن، وأصحاب الليل**»، وإذا به يأخذه الغرور والتعالي على الخلق، ويقصّر في واجباته الأسرية والإجتماعية.

إن رب العالمين يعطي الإنسان الذي يجاهد في هذا الطريق جرعة من هذا الشراب الصافي، ولكن أيضاً يطلب منه أن لا يسكر ذلك السكر الذي يذهله عن وظيفته الشرعية، ومن المعلوم أن النبي الأكرمﷺ

من أعظم معجزاته ليس شق القمر فحسب، وإنما مقدرته على التنزل والتعايش مع أهل الدنيا، وهو الذي كان يعيش ما يعيش من عوالم القرب الإلهي، وهو الذي عُرج به إلى السماء وكان قاب قوسين أو أدنى من رب العالمين، وإذا به يهبط إلى الأرض؛ ليعيش بعض المشاكل مع زوجاته، ومع أصحابه، ومع جفاة الجاهلية والأعراب، وكان يتحمل منهم ما يتحمل، هنا عظمة النبي صلى الله عليه وآله.

إنّ علينا أن ننتبه إلى مكائد الشيطان اللّعين، وأنّ المهم عنده أن يكون الإنسان ماشياً مشي الأعـرج، سواءً برجله اليمنى أو برجله اليسرى، إنّ البعض قد يُعطى بعض النفحات وبعض الجوائز، ولكن مع الأسف لا يعلم قدر هذه الجائزة، فيتعالى على الناس، ويتعالى على الزوجة، ويترك واجبه الإجتماعي، يكلم فلا يجيب!

يسلم عليه فلا يتقن الرد على السلام!

هو كان صاحب خدمة إجتماعية، يسد ثغراً من ثغور المسلمين، وله نشاط إجتماعي في هداية الخلق، وإذا به غاب عن الأنظار، بحجة إنهاء الختمة الفلانية والورد الكذائي، وأن الناس جهلة وفي ضلال، ويدخلون عليه الظلمة وما شابه ذلك!

وإذ به يعيش حالة من حالات العلو، وهنا بداية النهاية.

الحلقة التاسعة

غاية خلق الله

«غاية خلق الله»

إنّ غاية خلق الله عزّ وجل لعباده، هو إيصالهم إلى الكمال النهائي الذي يحقق لهم السعادة الأبدية، فقد خلقهم تفضلاً منه تعالى، لا لحاجة منه إليهم وهو سبحانه الغني المطلق وإنما لينعموا بفضله وخيره، خلقهم للبقاء لا للفناء، ويؤيد ذلك هذا الحديث القدسي: «**كنت كنزا مخفياً، فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لأن أعرف**»

إنّ رب العالمين مستغرق في عزّه وجلاله وكماله، ولا يحتاج إلى أحد من خلقه، فهو إله وإن لم يعبد من قبل أي مخلوق، وسيأتي يوم القيام وينادي فيه: ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**﴾[1]؟، وإذا بالسائل هو نفسه المجيب: ﴿**لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾[2] إن رباً بهذه العظمة والقدرة وبهذه الملكات، ألا يجدر بنا أن لا نلتفت إلى سواه؟!

فإنّ بيده كل حاجاتنا وكل ما نريد، وعنده خزائن كل شيء: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**﴾ ولكنه تعالى ينزل بقدر، ولا يعطي إلّا عن إستحقاق، ومن الخسران أن يرتبط الإنسان

(١) غافر ١٦.

(٢) غافر ١٦.

بغير الله تعالى، أحد العلماء الكبار كان يقول: «**كم من القبيح أن نرى فقيراً يستجدي فقيرا مثله!**»، فالذين في الحياة الدنيا يجعلون عيونهم على الغير وأملهم بالغير، فهؤلاء مساكين، ورب العالمين يقول في شأنهم: «**لأقطعن أمل كل مؤمل غيري**»، وهذا لا يعني أنّ الإنسان لا يركن إلى الناس، ولكن عليه أن لا ينسى أنّ الله تعالى هو السبب لكل ذي سبب، وهو سبب من لا سبب له.

الحمد لله أن وفقنا لأن نفتح قلوب عباده على ذكره تعالى، ومن المتوقع إن شاء الله بعد هذه الأحاديث المباركة، أن نجد من قد غيّر مساره في الحياة، ولم يترك متعة في الحياة إلّا وقد ارتكبها، أحدهم قال: بأنه جرب أنواع اللذائذ حتى ملَّها، وما بقيت لذة في هذا الوجود لم يجربها، ولم يصل إلى شيء، بل أنه يعيش الإكتئاب، والضيق، والتبرم، وحالة من حالات الملل الباطني، ومن المعلوم بأن جو الإكتئاب، وأغلب الحالات النفسية المرضية متفشية في الأغنياء أكثر من الفقراء، فما دام أنّ البعض قد جرب كل متع الحياة الدنيا حتى الملل، فليبدأ عالماً جديداً، فهو سافر إلى ما سافر، فليبدأ سفرة أخرى، وهذه هي السفرة النهائية!

لو التفت الإنسان إلى باطنه ونظر إلى تركيبة نفسه، لإكتشف أنّ هنالك طفلاً في وجوده فظاهره إنسان ذا شخصية راقية، له مقام

ودور مميز في المجتمع، إلا أن واقعه شيء آخر وهو هذا الذي يدفعه لهذه الحركات والاستمتاعات التي هي دون مستوى الإنسان الراقي الكامل، إنسان تنازعه نفسه على قطعة حلوى، وإذا به يقطع المسافات لأجل أن يشتريها ويأكلها!

وعليه، لابد للإنسان أن يحاول تهذيب نفسه وتربيتها، وأن يحاول أن يصعد بها إلى مستوى البلوغ، بحيث لا ترى متاع الدنيا مغرياً كثيراً،

إن السفر إلى الله تعالى فيه موانع وعقبات وقطّاع طرق كثيرون، تواجه الإنسان السائر وتقف في طريقه، ومن هنا ينبغي له أن يعرف عدوه حتى يحذره في مقام العمل، ومن المعلوم أنّ أكبر عدو في هذا الطريق هو الشيطان الرجيم، الذي أقسم أن يغوي بني آدم: ﴿**لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلا**﴾[1]، وتعبيره تعبير مخيف وضخم، ورب العالمين لو كان يرى أن الشيطان يبالغ وليست له القدرة على ذلك، لعقبه بما يكذب كلامه ويؤكد له أنّه دون ذلك، والحال بأن القرآن الكريم لم ينفِ هذا المعنى بل كأنه يقرره!

إنّ البعض الذي يخاف من الجن والشبح والسحر وغيرهم، فليخف من الشيطان؛ لأنه حقيقة قائمة حية، هذا الشيء الذي لا يُنكر، ورد عن النبي الأكرمﷺ أنه قال: «**إن الشيطان يجري من ابن**

(١) الاسراء ٦٢.

آدم مجرى الدم في العروق»، فكيف يصل الدم إلى كل خلية من خلايا الدم، ولولا ذلك لماتت الخلية، كذلك الشيطان فإنه متغلغل في وجود بني آدم، ويشاركه في كل شيء إذا نسي التسمية: ﴿**وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ**﴾[1].

وهو وجود غريب خفي، وله خبرة آلاف السنين، فلو أنّ إنساناً مارس عملاً سنة أو سنتين أو عشرين سنة، تراه يصبح خبيراً بذلك العمل، فكيف بموجود تمرس في إغواء بني آدم آلاف السنين، وشغله لم يقتصر على المساكين والمستضعفين، بل أنه كان يحاول حتى مع الأنبياء والمرسلين؟!

وأول ضربة ضربها نجح فيها، ألا وهو أبونا آدم حيث أخرجه من الجنة، وللعلم أن هناك نصاً عجيباً مضمونه: بأن الشيطان بلغ مرتبة الوجاهة بين الملائكة، حتى أصبح خطيب الملائكة! وكان يمضي آلاف السنين في ركعة أو في سجدة، أُضيف إلى خطاباته، وعلمه.

يقول الشاعر:

لو كان للعلم من دون التقى شرف

لـكـان أشرف خلق الله إبليس

(١) الاسراء ٦٤.

الحلقة العاشرة

أوسع أبواب القرب

هو باب الحب الإلهي

«أوسع أبواب القرب هو باب الحب الإلهي»

يعتقد بعض أربـاب القلوب -ولهـم دليلهم- أن أولياء الدم يحضرون مجالسهم بأرواحهم الطيبة، وهذه قضية عرفية لا غرابة فيها، وإنما الغريب والمستنكر هو عدم الحضور، فلو أن إنساناً سمع بموت قريب له ولم يحضر مجلس الفاتحة المقام على روحه، يعلم عقلاً أن هنالك جفاءً في البين، وعليه، فلنتوجه بقلوبنا إلى مولانا صاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف، ونطلب منه بلسان الحال والمقال، أن ينظر إلينا بنظرته الكريمة، وأن يتفضل علينا بلطفه كرامة لجده الحسين عليه السلام، وإن كنا لا نستوجب هذه الإلتفاتة، فلا قلب سليم، ولا أعمال صالحة، كلنا فقراء إلى الله تعالى، ذنوبنا بذّت الطود واعتلت.

لا يخفى دور الشيطان اللعين في تثبيط البعض ممن تورطوا بالتوغل في المعاصي والذنوب فيما سلف من حياتهم، إذ أنه يعمل على تذكيرهم بذلك الماضي الأسود، ليبعث في نفوسهم اليأس من رحمة الله عز وجل، ويصدهم عن التحرك لتغيير واقعهم المرير، والإلتفات إلى تعويض ما ضاع من العمر في الأباطيل، فما من أمر بأشد عليه من أن يخرجوا من

الأوحال والمستنقعات التي كانوا فيها، والحال بأن اليأس من الكبائر، فالإنسان بإمكانه في أي لحظة أن ينقلب على واقعه، وهو ليس بأعظم ذنباً من الحر بن يزيد الرياحي، ذلك الذي أرعب قلوب أولياء الله، من أمثال مولاتنا زينب الكبرى عليها السلام.

ومن المعلوم أولئك السحرة الذين كانوا يمتهنون السحر الذي هو من الكبائر والموبقات، هذا فضلاً عن تجاسرهم في مواجهة نبي الله موسى عليه السلام، ومع ذلك فإن الله تعالى قد قبل توبتهم، وها نحن في المناجاة نقول: «**يا قابل السحرة إقبلني**»!

فإذن، لابد من العزم والجزم على تغيير الواقع واستنزال المدد الغيبي، ومن موجبات بعث الأمل في النفوس الراغبة للوصول إلى الله تعالى، التأمل في عظيم قدرته سبحانه وتعالى وبديع صنعه، من المعلوم أنّ الإنسان في بداية تكوينه من أقبح الموجودات وأبشعها شكلاً، وإذا به يتكامل ويتكامل، ويتحول من طور إلى طور، ليخرج لنا هذا الوجود البديع الذي لا يشبع الإنسان من النظر إليه!

وفي عالم النبات نلاحظ كيف أن الله عز وجل يبعث الحياة في الأرض الميتة، وإذا بتلك البذور اليابسة تدب على وجه الأرض في غاية الحسن والجمال!

إنّ رب العالمين هو الذي يُحيي العظام وهي رميم، وينزل الغيث

من بعد ما قنطوا، ويخرجنا من بطون أمهاتنا ونحن لا نعلم شيئا، فالرب الذي ينقش قدرته وجماله في عالم التكوين، قادر على أن يرسم الجمال في عالم الأرواح، ولكن هنالك فرق بين العالمين: وهو أنّ الجنين في ظلمات الأرحام بلسان حاله يسلم أمره إلى مولاه عز وجل ليصوره كيفما يشاء: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[1]، وكذلك النبتة في ظلمات الأرض فإنها تسأل الرب تعالى أن يحييها: ﴿**فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾[2]، وأما بالنسبة للأرواح فإنّ الأمر يختلف، إذ أنه يحتاج إلى إرادة طوعية من الإنسان، فليتوسل بالله تعالى وليكثر الطلب بأنه: «**يا رب أنت الذي جملت هذا البدن، وجعلته في أحسن صورة، فجمل هذه الروح، فإنّه لا يعجزك شيء في الأرض ولا في السماء، وكل من فيهما طوعاً لأمرك يا رب**».

ليتعرض الإنسان إلى دائرة الجذب الإلهي، إلى ما يوجب له التفاتة المولى جلّ وعلا وعنايته، ويقدم ما يثبت حسن نيته وصدقه في رغبة القرب إليه تعالى، إنّ مريم عليها السلام أدخلها الله تعالى في جاذبيته، وكفلها نبي من أنبيائه وهو زكريا عليه السلام كما تشير إليه هذه الآية الكريمة: ﴿**فَتَقَبَّلَهَا**

(١) آل عمران ٦.

(٢) الحج ٥.

﴿رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[1].

إنّ الأخوات اللواتي يشتكين من عدم وجود المربي والمرشد، لكون أغلبهم من الرجال، والنساء لا صلة لهم بمعاشرة الرجال والعلماء، لينظروا إلى ما يقوله القرآن الكريم في شأن مريم: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[2]، إن الله تعالى عندما وجد مريم أهلاً لاصطفائه، هيأ لها الأسباب الموجبة للتكامل، فكان الأنبياء والأولياء يتنازعون على تربيتها، حتى خرجت القرعة بإسم النبي زكريا عليه السلام، ومن المعلوم أنه كان عقيماً لا ذرية له، مفوضاً أمره لله تعالى ولم يطلب الولد، ولكنه عندما رأى مريم تمنى ذلك: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[3]، وقد استجاب رب العالمين دعوته وأعطاه يحيى، ذاك النبي العجيب، أشبه الأنبياء بسيد الشهداء عليه السلام، لأنه أيضاً قُطع رأسه وأُهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل، فكان زكريا عندما يريد أن يعظ يتأكد

(١) آل عمران ٣٧.

(٢) آل عمران ٤٤.

(٣) آل عمران ٣٧-٣٨.

من خلو المجلس من يحيى، لأنه كان يُصعق في مجلس أبيه من خوف الله عز وجل، وهكذا عوض هذا النبي العظيم.

إن السنة هي السنة، ﴿**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا**﴾[1]، فلتتأسَ الأخوات المؤمنات بمريم، ولينظرن ماذا عملت مريم؟

هل جاهدت في الله؟ هل قدمت مالاً؟، هل بنت مسجداً؟

فمن المعلوم أن بلاءات مريم كانت في أواخر التكامل، حيث ابتلاها الله عز وجل بحملها بالمسيح، ولكن أم مريم قدمت قرباناً: ﴿**إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[2]، فقد وقّفت ما في بطنها لخدمة بيت المقدس قرباناً لله عزوجل، ﴿**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾[3]، وهنا إشارة إلى أن البعض يعتقد أن هذه الآية فيها تفضيل لجنس الرجال على النساء، وهذا خطأ، فالمقصود أن الذكر ليس كالأنثى في الهدف الذي كانت تريده أم مريم، إذن، أم مريم تقدمت خطوة إلى الله عزّ وجل، ورب العالمين بارك فيها.

---

(١) الاحزاب ٦٢.

(٢) آل عمران ٣٥.

(٣) آل عمران ٣٦.

الحلقة الحادية عشر

ضرورة البحث عن آليات العمل

ضرورة البحث عن آليات العمل

كان حديثنا فيما مضى حول السفر إلى الله تعالى، وقلنا بأننا في سفر قهري، فمنذ سقطنا من بطون أمهاتنا ونحن في حركة دائبة شئنا أم أبينا إلى أن يأتي ذلك اليوم الذي نقف فيه أمام الله عزّوجل، ليحاسب الجميع على ما اقترفت يداه، وهل أنه أحسن الإستفادة والتزود من هذه الفترة العمرية في حياته الدنيا أم لا، قال الله تعالى مقرراً لذلك اللقاء الحتمي: ﴿**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**﴾[1]، وقلنا بأنه ما دام هنالك حركة قهرية فلماذا لا نجعلها حركة إختيارية، وضربنا مثال: لو أنّ إنساناً لديه محاكمة مصيرية عند سلطان، وهو بين أن يُعفى عنه أو يُعدم، فمن العقل أن يحاول قبل أن يلتقي بهذا السلطان أن يتزلف ويتودد إليه ويصبح من حاشيته، حتى إذا ما جاء وقت المحاكمة فإنه يستفيد من مزايا ذلك القرب، فهذه حركة عقلائية، نحن في حركة إلى الله تعالى، وسيأتي يوم القيامة الذي ينادي فيه رب العالمين: ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**﴾[2]؟، فلا مجيب إلاّ هو الله جل جلاله: ﴿**لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾[3]،

(١) مريم ٩٣.

(٢) غافر ١٦.

(٣) غافر ١٦.

والموقف رهيب ومخيف، وكلنا بين يدي رب الأرباب، ولو تدبرنا في القرآن الكريم فإنه مليء بالآيات التي تدعونا إلى السير إليه تعالى وترك الإنحدار والتثاقل، فهو سبحانه وتعالى لا يرضى لعباده إلا بالحياة الأبدية في نعيمه المقيم، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[1]، وكأنه الرب تعالى في حركة استعطافية يستقرض من عباده وهو الغني بل ويمنيهم أيضاً بالأجر المضاعف، مع أن المال ماله، بل كل وجود الإنسان وعوارضه ملك له سبحانه، وهذا منتهى الحنان واللطف!

ونلاحظ في آية أخرى أنه يعرض علينا المتاجرة معه تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[2]، ليربحنا بتفضله، وينعمنا بنعيمه، ويدخلنا جناته، وينجينا من النار الحريق، وكأنه أيضاً نحن المتفضلون عليه: ﴿**تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[3]،

(١) البقرة ٢٤٥.

(٢) الصف ١٠.

(٣) الصف ١١-١٢.

فالرب تعالى يحبنا، ويدعونا إلى طريق النجاة، إلى ما فيه صلاحنا، وهو الغني المطلق، وليس بحاجة إلى عبادتنا أصلاً وما قيمة أعمالنا قبالة تفضله وتحننه علينا؟!

ألا نقرأ في دعاء الإفتتاح: «**فَلَمْ أَرى مَوْلاً كَريماً أَصْبَرَ عَلى عَبْد لَئيم مِنْكَ عَلَيَّ يا رَبِّ، إِنَّكَ تَدْعُوني فَأَوَلّي عَنْكَ، وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلا أَقْبَلُ مِنْكَ، كَأَنَّ لِيَ التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ ذلِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ لي، وَالإِحْسانِ إِلَيَّ، وَالتَّفَضُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ**».

لابد أن يصل الإنسان إلى مستوى الأنس من رب العالمين، وعلامة ذلك الأنس هو تمني الموت، ومن هنا فإن رب العالمين يتحدى اليهود في ادعائهم قائلاً: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[1]، فعلامة القرب من الله عزّوجل والأنس به هو عدم الخوف من الموت وإنما التمني له.

إن بعض الناس يخاف الموت ويضطرب من ذكره، فلا يذهب للمقابر لئلا يذكره ذلك بالموت، وعندما يرى كفنا يعرض بوجهه لأن الكفن يذكره بالموت، رائحة الكافور تذكره بالموت، لا بل لا يزور أعز أصدقائه في غرفة الإنعاش، لأن غرفة الإنعاش محط زيارة عزرائيل أكثر من باقي أقسام المستشفى! فالإنسان الذي يعيش هذا الجو عليه

(١) الجمعة ٦.

أن يراجع نفسه، لئلا يتضمنه هذا العتاب الإلهي: ﴿**وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾[1]، وهذا الكلام ليس خاصاً باليهود، وإنما المقياس مقياس عام، والإنسان الذي يخاف الموت فإنه لا يعد ولياً لله عزّ وجل.

أحد عمالقة الأخلاق الكبار صاحب كتاب: «المراقبات»، و«أسرار الصلاة»، و«لقاء الله»، زاره أحد العلماء، فسأله عن قبر أحد الشيوخ هل صار مزاراً، فقال: العالم: نعم، وإذا به يشير إشارة بأنه على موعد معه في الخميس، العالم لم يفهم هذه الإشارة، فكيف ذاك العالم متوفي منذ سنوات وهذا حي يرزق، ما معنى هذا الكلام؟ ولعله كان يمزح، أو أنّ موعداً معه في المنام مثلاً!

وفي يوم الخميس ذهب إلى دار الشيخ فتفاجأ بخبر وفاته، وكأنه على ميعاد، وخبر وفاته خبر عابر، وليس خبرا ملفتا، لا بل إن يوم الخميس كان بالنسبة له هو يوم اللقاء! وقد يقول قائل الموت لا يعلمه إلّا الله؟

نعم العلم عند الله تعالى، ولكن إذا شاء أن يخبر وليه وعبده أخبره، العلم الذاتي لله تعالى كما في علوم الغيب، والعَرَض لعبده.

---

(١) الجمعة ٧.

الحلقة الثانية عشر

التوقير الباطني لرب العالمين

«التوفير الباطني لرب العالمين»

إنّ البعض قد يسأل عن مناسبة ارتباط موضوع الصلاة الخاشعة بأيام محرم وعـزاء الحسين عليه السلام فنقول: إنّ الحسين عليه السلام كما هو مأثور إستمهل القوم ليلة للصلاة بين يدي الله عزوجل، والصلاة هي قرة عين الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كما ورد في الحديث ثم إن الإنسان المؤمن إذا اتقن صلاته، فإنه يستفيد من ذلك في مجال حياته الشخصية والجهادية كالأئمة عليهم السلام، حيث كان إذا أهمهم أمر يفزعون إلى الصلاة، وخاصة في المساجد وفي وقت الخلوات، فالإنسان بإمكانه عند زيارته لبيت من بيوت ربه، أن يصلي ركعتين بين يدي الله عزوجل، ويطلب منه ما يريد.

إن من يريد الخشوع في الصلاة، فإنّ عليه الإعتناء بمقدمات الصلاة، وقد بدأنا بالطهور وقلنا: أنه من الممكن أن يبدأ الإنسان تفاعله من حين الوضوء، ومن المناسب أن يحاول الإنسان قدر الإمكان أن يكون على طهور، لأن الحدث الذي يصيب الإنسان بنوعيه الأصغر والأكبر يوجب ظلمة باطنية، أضف إلى أن المحدث ممنوع من بعض الأمور التعبدية، ومن المعلوم أن هذه الظلمة ترتفع بالوضوء والغسل،

ومن هنا فإن أولياء الله والعباد الصالحون، عندما يحدثون فإنهم يبادرون إلى الوضوء وإلى الغسل، وهنا إشارة للأخوات المؤمنات:

البعض يظن بأن المرأة معفية عن العبادة في أيام شهرها، والحال بأنها معفية من الصلاة لا من العبادة، فالقرآن الكريم، والدعاء، والجلوس على المصلى، والمناجاة مع رب العالمين كلها عبادة، والبعض كأنه يريد أن يتحلل من كل القيود!

التي تترك كل صور العبادة في أيام إلى عشرة، فإن ذلك سيعود عليها بقساوة القلب وموته، فإذن كما هو المطلوب شرعاً.

على المرأة أن تجلس في أوقات الصلوات في مصلاها، وتذكر الله تعالى، ومن المعلوم أن ذكر الله تعالى في بعض الأوقات، قد يكون أبلغ، لأن المرأة متحرقة على حرمانها لصلاتها، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**يقول الله تعالى: مَن أحدث ولم يتوضّأ فقد جفاني، ومَن أحدث وتوضّأ ولم يصلّ ركعتين فقد جفاني، ومَن أحدث وتوضّأ وصلّى ركعتين ودعاني ولم أُجبه فيما سألني من أمور دينه ودنياه فقد جفوته، ولست بربٍّ جاف**».

من الواضح أن العمل بهذا الحديث يحتاج إلى همة عالية، ولكن الميسور لا يُترك بالمعسور، فالإنسان بإمكانه أن يمشي في هذا الوادي

وادي عدم الجفاء مع حذف الصلاة، أي أنه كلما أحدث يتوضأ، وكلما توضأ يدعو الله عز وجل، ويكفي أدعية الوضوء.

وهذه الأيام المياه متوفرة بسهولة، بعكس الأيام الماضية أيام شح المياه حيث كان جلب الماء من البئر يحتاج إلى جهد، وفي عز الشتاء كان يحتاج إلى تسخين، فالوضوء كان معاملة من المعاملات، فكيف بالغسل؟! فقد كان يحتاج إلى برمجة مسبقة، وخاصة بالنسبة للنساء!

أن تخصيص مكان للصلاة من موجبات تحقيق الصلاة الخاشعة، وأن ذلك فيه نوع من التأدب والإعتناء بمكان اللقاء الإلهي، كذلك فأن الأمر فيه ارتباط نفسي.

إن التأمل في جمل الأذان والإقامة من موجبات الخشوع في الصلاة، ومن المعلوم أن هذه الجمل من الوحي، فرب العالمين هو الذي صاغها، ولو تأمل الإنسان في ملكوت الأذان والإقامة، لكان من المستحيل أن لا يصلي في أول الوقت، فالخجل يمنعه من التأخير، والوجل يدفعه للتقديم، إحدى المؤمنات تقول: قيل لي كلمة غيرت وأثرت فيّ أيما تأثير، وهي هذه الآية: ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾[1]، وصرت كلما أردت أن أصلي أتذكرها، وتوجب لي الإقبال في الصلاة، فالإنسان

(١) نوح ١٣.

عندما يصلي وذهنه في غير الصلاة، فان هذا يُعد خلاف التوقير، الأذان والإقامة فيها ثلاث جمل تبدأ بكلمة «حي»: «حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على خير العمل»!

ومعنى هذه الكلمة في اللغة العربية: عجِّل!، وكل جملة مكررة مرتين، فيكون المجموع اثنا عشرة مرة، ورب العالمين ينادي عبده أقبل عليَّ بعجل!، أنا أريدك أن تأتيني مستعجلاً! وعادةً هذه الحالة من الإلحاح والإستعجال تكون:

إما لشدة الشوق، أو لشدة الحاجة، وإذا كان الداعي المصر في دعوته هو أمير البلاد، فإذن ينتفي الأمر الثاني، ويبقى الشوق وقد يحب أن يعطيك شيئاً، رب الأرباب في الأذان والإقامة كم مرة يقول عجِّل؟!

اثنا عشرة مرة: ستة في الأذان، وستة في الإقامة.

إنّ الإنسان الذي لا يوقّر نداء الله عزّ وجل ولا يسارع إلى تلبية ندائه، فلا ينبغي له أن يتوقع الإستجابة السريعة من رب العالمين، ومن الطريف أن الانسان لما يكون في غرفة الإنعاش، ويعيش بين الحياة والموت أيضاً يقول: حي على الشفاء! حي على الشفاء! ولكن رب العالمين قد يؤخر عليه الإستجابة، معاملة له بالمثل!

يُقال: كان هنالك حمَّال في بلدة، رأى طفلاً يسقط من السطح فمد

يده اليه، فسقط هذا الطفل على الأرض سليماً، فاجتمع الناس حوله متعجبين: أنت من؟ أنت ولي! أنت كذا! فقال لهم: لماذا هذا التعجب؟! أنا أطعت ربي عمراً فأطاعني! أي سألته أن ينقذ هذا الطفل فأجابني، وهذا ليس بأمر غريب.

إن الله تعالى عندما يصل إلى ذكر طبيعة بني آدم، فإنه يُظهر تحسره وتأسفه قائلاً: ﴿**قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ**﴾[1]! أي الموت لبني آدم!

إنّ الله سبحانه وتعالى بيّن للإنسان طريق الخير والشر: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾[2]، ولكن الإنسان بطبعه ظلوم جهول، يميل إلى اتباع الهوى والشياطين، فيردي نفسه ويهلكها، ومن هنا فالذي لا يعمل جهده وجهاده ليرتقي بنفسه، فإن مآله إلى السقوط، كما قال تعالى مشيراً إلى هذا التسافل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾[3].

ومن المعلوم أن الأجسام تميل بطبيعتها لو تُركت إلى أسفل نظراً للجاذبية الأرضية، وأنها تبقى ساكنة ما لم يؤثر عليها مؤثر خارجي،

(١) عبس ١٤.
(٢) البلد ١٠.
(٣) التوبة ٣٨.

يعمل على التغيير في شكلها أو اتجاهها أو محلها أو غيره، فالذي يريد أن يغير من نفسه لابد له أن يتحرك، وإلا فإنه سيبقى على حاله وإن عملت فيه الليالي والأيام، وهذه حجارة مكة من لدن أبونا آدم إلى اليوم، وهي على حالها، وفي محلها! وينبغي للإنسان أن لا يغتر بمجرد الأداء الظاهري للعبادة في الصلاة، والحج، والعمرة، والزيارة، فالحركات الشكلية ما هي إلا حركات بدنية، لا شأن لها في تغيير جوهر الإنسان وباطنه، ولو كان الأمر كذلك، لرأينا التغيير فيمن هم أمضوا بجوار قبر المعصوم عقوداً من أعمارهم، فالقضية ليست بالزيارة ولا بالعمرة ولا بشد الرحال مجردة عن الحركة الباطنية المتمثلة بالتوبة والإنابة.

لو حركنا هذا الحجر الذي في مكانه قليلاً، سنكتشف هنالك آبار جوفية مهملة، وآبار بترول مقفلة، نفس الإنسان كلها معادن نفيسة تحتاج إلى استكشاف وتوظيف، وإنما حاله كما يقول الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ

والمـــاء فـــوق ظـهـورهـا محمول

المحتويات

الحلقة الاولى

ما هو السبيل الموصل الى الله سبحانه وتعالى ٥

الحلقة الثانية

امتلاك همة السفر الى الله تعالى ١٢

الحلقة الثالثة

الزاد العلمي أول زاد السائر إلى الله تعالى ٢١

الحلقة الرابعة

الامداد الغيبي فى حركة السالك إلى الله تعالى ٣٠

الحلقة الخامسة

الزاد العملي ٣٧

الحلقة السادسة

كيف يحصل المسافر الى الله على الزاد ٤٣

الحلقة السابعة

اليقظة الروحية مقدمة للخروج على الواقع ٤٩

الحلقة الثامنة

عقبات السفر ٥٦

الحلقة التاسعة

غاية خلق الله ٦٢

الحلقة العاشرة

أوسع أبواب القرب هو باب الحب الإلهي ٦٧

الحلقة الحادية عشر

ضرورة البحث عن آليات العمل ٧٣

الحلقة الثانية عشر

التوقير الباطني لرب العالمين ٧٨